مقالة

بسم الله الرحمن الرحيم

سوريا ومشكلتها الحقيقية

ألقى وزير خارجية سوريا أسعد الشيباني خطابا أمام مجلس الأمن يوم ٢٠٢٥/٤/٢٥، وذلك في أول حضور لسوريا، بعد فرار الطاغية بشار أسد، قال فيه: "أنا في مجلس الأمن لأمثل سوريا الجديدة". وتابع "نطلب من مجلسكم الكريم ممارسة الضغط على إسرائيل للانسحاب من سوريا" وأضاف قائلا: "العدوان الإسرائيلي المستمر على سوريا يقوض السلام والأمن اللذين نسعى إلى تحقيقهما" وقال: "أعلنا مرارا التزامنا بأن سوريا لن تشكل تهديدا لأي دولة في المنطقة والعالم بما فيها إسرائيل". وأكد استعداد الإدارة السورية الجديدة التطبيع مع كيان يهود عندما طالب برفع العقوبات عن سوريا بقوله "يمكن أن يكون (رفع العقوبات) خطوة حاسمة تسهم في تحويل سوريا من بلاد تعرف بماضيها المظلم إلى شريك نشط وقوي في السلام والازدهار والاقتصاد العالمي".

وقد كشفت باربرا ليف المساعدة السابقة لوزير خارجية أمريكا يوم ٢٠٢٥/٤/٢٥ للقناة ١٢ العبرية بأن "أحمد الشرع تعهد بشكل صريح بأن سوريا لن تهدد إسرائيل في المستقبل، وتعهد بعدم السماح لأي جهة أو دولة بتهديدها من الأراضي السورية"، وقد التقته في دمشق يوم ٢٠٢٤/١٢/١٩ قبل أن تغادر منصبها في الإدارة الأمريكية السابقة. وقالت: "خلال لقائي مع الشرع، أعجبت بمصداقيته، وكان يثير إعجاب المسؤولين في الإدارة الأمريكية السابقة ببراغماتيته، الزمن وحده سيكشف ما إذا كان قد غيّر نهجه بالفعل".

فهنا يؤكد حكام سوريا الجدد بتصريحاتهم ويشهد لهم العدو أنهم لا يختلفون عن محمود عباس وسلطته الفلسطينية، ولا عن حكام المسلمين قاطبة، والذين أول ما يتعهدون به عندما يتم إيصالهم إلى الحكم هو عدم تهديد كيان يهود أو أن يسمحوا بتهديده انطلاقا من البلاد التي سيتولون حكمها، لأن ذلك من أولويات المصالح الأمريكية في المنطقة. وقد اتخذوا التوسل لأمريكا خاصة ولمجلس الأمن والنظام الدولي حجر الزاوية في السياسة الخارجية، فيتوسلون لهذه القوى بأن تحل لهم قضاياهم أو تعيد لهم أراضيهم المحتلة بدون قتال على حساب التخلي عن فلسطين والاعتراف باغتصاب يهود لها؛ لأنهم غير مستعدين للتضحية والتحدي، ويهابون الموت ويحبون الحياة كحب يهود لها، وقد خدعتهم المناصب والألقاب وبريق الشهرة وكيل المديح لهم من المنافقين أو المنتفعين ومن السذج البسيطين، وأعرضوا عن الناصحين.

والموضوع ليس فقط في هذه القضية مع العدو الغاصب لفلسطين ولأجزاء من سوريا ولبنان، وهي بلاد واحدة لا تتجزأ رغم التجزئة الاصطناعية الاستعمارية لها، وإنما في معالجة كافة الأمور السياسية والاقتصادية والمجتمعية، فيبحثون عن الحلول لدى الدول الكبرى والتابعة لها من الدول الإقليمية والمؤسسات الدولية، فنسوا مبدأهم ومصادر شرعهم.

إن هناك مشكلة شائكة، تتمثل في الذين يتم إيصالهم إلى الحكم بعد الثورات بأنهم لا يستندون إلى قوى الأمة الذاتية بما فيها من قدرات وإمكانيات حتى يلبوا تطلعات ومطالب الناس الذين ثاروا، ويخادعونهم بأنهم سيلبونها، أو هكذا يتوهم الناس، بل ما يلبث هؤلاء الحكام إلا أن يتجهوا نحو الخارج ليلبوا مطالب الدول الاستعمارية وأتباعها في المنطقة تحت ذرائع مختلفة! فلا يتصفون بصفة رجل الدولة، بل إنهم يفتقرون إلى العقائدية والمبدئية في العمل السياسي، وقد أبوا إلا الالتصاق بالواقع، واعتبروه المبدأ والمقياس ومصدر التفكير، فقالوا علينا أن نكون واقعيين، براغماتيين، وأن نسلم بالأمر الواقع،

فيسيرون وراء الذي يفرض الواقع وغير مستعدين للعمل على تغيير الواقع وإيجاد واقع جديد حسب فكرهم بحيث يجعلون الآخرين يخضعون له. وبذلك امتدحهم الأمريكان والغرب وأتباعهم في المنطقة.

نعم إن القوي المتغلب يعمل على فرض الواقع، كأمريكا اليوم، ويعمل على جعل الآخرين يستسلمون له وأن يكيفوا أعمالهم وتحركاتهم حسبه، ويعملون على تحقيق أهدافهم بقدر ما يسمح لهم هذا الواقع تحت هيمنة القوة المتغلبة. وعندما تقوم قوة أخرى وتقف في وجهها أو تتحداها يبدأ الصراع بينهما.

وهذا شيء طبيعي، فيجب على القوة الإسلامية العقائدية لو لم تكن دولة بعد، عندما تكون كيانا كحزب مبدئي، أن تتحدى هذا الواقع وتفرض واقعا جديدا حسب مبدئها، وذلك بالكفاح السياسي الشرس والصراع الفكري القوي حتى إذا ما أقامت دولتها المبدئية جعلت دول العالم تستسلم لما تفرضه من واقع حسب مبدئها، وتجعلها تتعامل معه وتتحرك ضمنه، فالمسلم الذي أسلم وجهه لله رب العالمين قوي بمبدئه متغلب بعقيدته على كافة العقائد والمبادئ.

ولهذا فإن رسول الله ﷺ مع حزبه حزب الصحابة رضوان الله عليهم تحدى الواقع ولم يخضع له؛ فتصدى لقادة قريش وهاجم عقائدهم وأفكارهم وسفّه أحلامهم وعاداتهم وتقاليدهم، وعمل على نشر أفكاره وإيجاد رأي عام لها، وبدأ يبحث عن نصرة له حتى يقيم دولته على أسس مبدئية راسخة رسوخ الجبال. وبهذه الطريقة تمكن من إقامتها، ففرض واقعا جديدا على الداخل والخارج، ولم يتردد أبدا في القتال ولو بأقل الإمكانيات حتى يصبح المبدأ الإسلامي هو السائد والدولة الإسلامية هي المهيمنة، وبذلك تمكن من تحرير جزيرة العرب من الشرك والكفر خلال عقد من الزمن، وجعلها دولة كبرى عندما بدأ يصارع دولة الروم أكبر دولة في العالم في ذلك الوقت.

نعم هذا هو حل المشكلة، فتصبح سوريا وغيرها من البلاد الإسلامية عزيزة قوية ودولة كبرى عالميا، وذلك بأن يتمكن الذين يسيرون على خطا الرسول ﷺ من استلام الحكم وقيادة البلاد. وإلا سيبقى الناس يدورون في دوامة خانقة وفي دائرة مغلقة لا يخرجون منها، يعودون إلى النقطة التي بدأوا منها، ويصيبهم اليأس والإحباط، فيستسلمون.

إن الحياة هي عبارة عن صراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، وبين الخير والشر، منذ أن خلق الله البشرية إلى أن يرث الأرض ومن عليها. فوجب على المسلمين وهم على الحق ودعاة الخير، وأهل الإيمان والتقوى، وقد ألزمهم الله كلمة التقوى وهم أهلها وأحق بها، أن يخوضوا هذا الصراع ويستعدوا للتضحية بالغالي والنفيس، وبالنفس والولد والوالد، في سبيل سيادة مبدئهم ليستحقوا وراثة الأرض والجنة معا، وأن لا يستسلموا للكفار ودعاة الشر، الذين جعلوا في قلوبهم حمية الجاهلية، بل عليهم أن يتأسوا برسولهم وقائدهم إلى الأبد محمد ﷺ، وقد أمرهم ربهم بذلك وحذرهم من مخالفته.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

أسعد منصور